

تصفيق الجمهور في الخطاب السياسي

-دراسة للتصفيق في خطاب تنصيب الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون -

The applause of the audience in the political discourse A study of applause in the inauguration speech of Algerian President - - Abdelmadjid Tebboune

د. محمد أمين مقروود

المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار، قسنطينة (الجزائر)

alamine.88@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/08/01	تاريخ القبول: 2021/07/28	تاريخ الإرسال: 2021/07/10
-------------------------	--------------------------	---------------------------

Abstract

This research deals with applause in political discourse as a response by the public, through its study of the audience's applause in the inaugural speech of Algerian President Abdelmadjid Tebboune. He sought to explain the role that applause played in determining the direction of the denotative and influential speech, and before that, its type, time, placement, intensity, causes and motives. He based his analysis on " Rhetoric of audience", which is one of the contemporary approaches in studying audience responses.

Keywords: rhetoric of audience, rhetoric, applause, political discourse, response.

مَدِينَةُ الْجَزَائِرِ

يتناول هذا البحث التصفيق في الخطاب السياسي باعتباره استجابة يقوم بها الجمهور، وذلك من خلال دراسته لتصفيق الجمهور في خطاب التنصيب للرئيس الجزائري عبد المجيد تبون. وسعى إلى تبين الدور الذي لعبه التصفيق في تحديد وجهة الخطاب التدليلية والتأثيرية، وتبيين قبل ذلك نوعه وزمنه ومواضعه وكثافته وأسبابه ودوافعه. وقد استند في تحليله على "بلاغة الجمهور" التي تعدّ من المقاربات المعاصرة في دراسة استجابات الجمهور.

الكلمات المفتاحية: بلاغة الجمهور، البلاغة، التصفيق، الخطاب السياسي، الاستجابة.

مقدمة:

يمثل التصفيق في الخطاب السياسي الحديث جزءاً لا يتجزأ منه، فلا يمكن أن نجد خطبة سياسية موجة لجمهور مباشر إلا ويأخذ التصفيق مساحة كبيرة منها، وحضور التصفيق في هذه الخطب حضور ذو فاعلية وتأثيرية وتأثيرية، فهو يتأثر بالخطاب من جهة ويؤثر فيه من جهة أخرى.

ولما كان التصفيق استجابة يقوم بها الجمهور، اضطلعت بدراسته وتحليله بلاغة الجمهور، هذه البلاغة التي تحاول تفسير كيف أنتجت خطاباً فعلية في سياقات فعلية استجاباتٍ معيّنة، وكيف - في المقابل- يمكن أن تؤثر هذه الاستجابات في الخطاب الأصلي¹.

ويندرج بحثنا ضمن هذا المسار، وقد استرشدنا فيه بالدراسة الفريدة التي قام بها رائد مجال بلاغة الجمهور في الوطن العربي عماد عبد اللطيف، والتي كانت بعنوان "لماذا يصقّ المصريون؟"، الصادرة عن دار العين للنشر والتوزيع في القاهرة سنة 2009.

يدور موضوع هذا البحث حول تحليل التصفيق في خطاب تنصيب الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون، واختارنا هذا الخطاب لأنه أول خطاب يلقيه تبون على جمهور مباشر باعتباره رئيساً للجمهورية. وكان تحليلنا له مؤطراً بالأسئلة التالية:

- كيف كان التصفيق في هذا الخطاب، من حيث نوعه، وزمنه، وموضعه، وكثافته؟.
- ما أثر الخطاب في استدعاء تصفيق الجمهور؟ وبعبارة أخرى: ما مثيرات التصفيق في هذا الخطاب؟
- ما أثر التصفيق في الخطاب؟ و"ما مدى تأثير تصفيق الجمهور المشارك نحو الخطبة على توجهات الجمهور غير المشارك نحوها؟".

1. الخطيب والجمهور: توافق وتناسق.

قبل أن ننظر في التصفيق الذي جاء في خطاب التنصيب للرئيس الجزائري عبد المجيد تبون، يجب أن ننظر أولاً في طبيعة الخطيب والجمهور الحاضر والعلاقة بينهما، فالعلاقة بين الخطيب والمتلقين في أي عملية تحليلية مهمة في فهم الخطاب، وهي في الخطاب السياسي أكثر أهمية وضرورة؛ "فإن أهمية السياسيين في تحليل الخطاب السياسي لا يخولهم أن يكونوا

الفاعلين الوحيدين في العملية السياسية، وبناء عليه يجب أن نضيف إليهم الناس عامة، المواطنين، الجماهير، وغيرهم من المجموعات والجماعات"².

و بالنسبة لظاهرة التصفيق فإنّ النظر في هذا الأمر أكثر ضرورة، إذ إنّ "التصفيق فعل تعاوني، يشترك في إنتاجه طرفان: متكلّم وجمهور، لكل منهما دوره والتزاماته"³. كما أنّ معرفة نوع التصفيق، وتحديد عفويته من عدمها، والوصول إلى دلالاته السياقية، إنّما تنبني على معرفة طبيعة الخطيب والجمهور والعلاقة بينهما.

فمن هو الخطيب والجمهور؟

الخطيب هو الرئيس الجزائريّ عبد المجيد تبون، فهو يحمل صفة رئيس الجمهورية، وهذه الصفة هي أعلى صفة سياسية في النظام السياسي الجزائري، جاء في الدستور الجزائري: "يُجسّد رئيس الجمهورية، رئيس الدولة، وحدة الأمة. وهو حامي الدستور. ويُجسّد الدولة داخل البلاد وخارجها"، فهو الممثل للدولة الجزائرية والمجسّد لها. كما تخوّله تلك الصفة أن يكون رأس السلطة التنفيذية، فهو من يرأس مجلس الوزراء، وتخوله بأن يكون رأس السلطة القضائية لكونه الرئيس الأوّل للمحكمة العليا ويرأس المجلس الأعلى للقضاء، وتجعله على رأس المؤسسة العسكرية باعتباره قائد القوات المسلحة ووزير الدفاع⁴.

فيتبيّن من خلال ذلك أنّ الخطيب يتمتّع بسلطة قويّة، بل إنّه نظريًا يمتلك أقوى سلطة سياسية في الدولة الجزائرية.

أما بالنسبة للانتماء السياسي للمخاطب، فعبد المجيد تبون ينتمي إلى حزب جبهة التحرير الوطني، وهو الحزب الحاكم في الجزائر منذ استقلال الجزائر إلى الآن، ولهذا نجد أنّ تبون منذ شبابه انخرط في العمل داخل دواليب الإدارة الجزائرية؛ فقد تقلد قبل الرئاسة عدة مناصب من أمين عامّ لولاية إلى وزير أوّل للحكومة.

فالخطيب إذا هو أحد رجال الدولة الجزائرية الذين عملوا فيها سنوات طويلة.

أمّا الجمهور، فحسب ما جاء في وكالات الأنباء، يتكوّن من: الرئيس المؤقت، ورئيس البرلمان، ورئيس مجلس الأمة، وقادة الجيش، وأعضاء الحكومة، والمرشحين للانتخابات الرئاسية، وقضاة المحاكم العليا، وقيادات أخرى في الدولة، بالإضافة إلى سفراء بعض الدول.

يلاحظ أنّ الجمهور في هذا الخطاب جمهور متناسق، ذلك أنّ أغلبه يتشكّل من قادة الدولة ورجالها، ورجال الدولة في البلدان غير الديموقراطية يكونون غالباً متناسقين، تجمعهم رؤية واحدة أو مصالح مشتركة أو ثقة متبادلة، ونادراً ما يكون بينهم اختلاف جذريّ، فأبّ اختلاف بينهم يكون اختلافاً ظرفياً شكلياً لا أكثر.

ويمكن أن نستنتج بعد ذلك العلاقة بين الخطيب والجمهور بسهولة، فما يجمع الخطيب والجمهور أنّ كليهما من رجال الدولة، فتكون العلاقة بينهما علاقة توافق، وعلاقة التوافق هذه ستعكس على التفاعل بين الخطيب وجمهوره، إذ سيكون التفاعل بينهما قائماً على القصدية، تقلّ فيه العفوية بشكل كبير. وهذه القصدية لا يكون غرضها إقناع المتكلم للمخاطبين، إذ إنّ الإقناع يكون للمختلفين.

2. التصفيق المقصود سلفاً: ليس بعفويّ ولا معدّ سلفاً.

يقسّم التصفيق من حيث تلقائيته، إلى تصفيق تلقائيّ وتصفيق معدّ سلفاً: التصفيق التلقائيّ هو الذي يحدث دون خطّة مسبقة أو سابق إعداد، بل يحدث عفواً الخاطر، أمّا المعدّ سلفاً فهو الذي يعدّ من قبل الشخص المصقّق نفسه أو من قبل طرف آخر.⁵

وحيثما ننظر في التصفيق الذي جاء في خطاب تنصيب عبد المجيد تبون، لا يمكن أن نحكم عليه بأنّه تلقائيّ وعفويّ استناداً إلى ما توصلنا إليه سابقاً من أنّ العلاقة بين الخطيب والجمهور هي علاقة توافق، هذه العلاقة التي تجعل التفاعل بينهما - والتصفيق جزء منه - تفاعل تقلّ فيه العفوية والتلقائية. إضافة إلى أنّ "الخطب الملقاة أمام جمهور مختار بعناية، ولا يتمتّع بسلطة موازية للحاكم، يحتمل أن يكون التصفيق فيها غير عفويّ"⁶.

كما لا يمكننا أن نحكم عليه بأنّه معدّ سلفاً، وذلك لسببين: الأول أنّه من خلال تتبعنا للتصفيق في هذا الخطاب لم نلاحظ ما يوحي بالإعداد له من الطرق المعروفة لذلك كالأشعار أو وجود أفراد مخصوصين لذلك أو غير ذلك. والثاني هو نوعية الجمهور الحاضر الذي يتكوّن من كبار رجال الدولة ومسؤوليها، ويستبعد بحسب الأعراف السياسية إعدادهم مسبقاً.

فما نوع هذا التصفيق إذا؟!!

ما نخلص إليه من التحليل السابق أنّ هذا التصفيق ليس تلقائياً ولا معدّ سلفاً، فلا يمكن الجزم بوضعه في أيّ من النوعين، وقد يبدو أنّ هذا الأمر محيّر، لكنّ الذي يزيل هذه الحيرة هو

الرجوع إلى العلاقة بين الخطيب وجمهوره، فعلاقة التوافق بينهما وما ينتج عنها من افتراض القصدية في التفاعل بينهما تقودان إلى نوع آخر من التصفيق وهو التصفيق "المقصود سلفا"، وهو الذي يكون باعثة القصد المشترك بين المتكلم والمخاطبين، هذا القصد الذي يُبنى على التوافق الحاصل بينهما في الفكر أو الرؤية أو التوجه أو غير ذلك. بعبارة أخرى، التوافق بين الخطيب وجمهوره ينشئ قصدا مشتركا بينهما، هذا القصد هو الذي يريدان معا أن يوصلاه إلى جمهور آخر غير حاضر زمن الخطاب، وهو الجمهور الأوسع. فتكون وظيفة الخطيب تبليغ مقاصده ومقاصد الجمهور الحاضر إلى الجمهور الأوسع، وتكون وظيفة الجمهور الحاضر إعانة الخطيب لتبليغ قصدهما المشترك إلى الجمهور الأوسع. فهناك حالة تعاون بينهما. أو يمكن أن نقول إن كليهما يتحوّل في مثل هذه الحالة إلى مخاطب، فهناك الخطيب المتكلم، وهناك الخطيب المساعد.

فالتصفيق المقصود سلفا ليس تلقائيا بحكم التوافق المسبق، لكنّه قد يظهر للمتابع بمظهر التصفيق التلقائي لغياب أدلة إعداده سلفا، لذلك يستعمل فيه الخطيب الفخاخ لاستدعائه، ويحتاج فيه الجمهور إلى مثيرات حتى يستجيب به، لكنّ هذه المثيرات تستدعي استجابة توافق مسبق وقصد مشترك لا استجابة استحسان مستجد.

والتصفيق المقصود سلفا أيضا ليس معدّا سلفا بحكم غياب أدلة الإعداد، لكنّه قد يظهر للمتابع بمظهر المعدّ سلفا نظرا للاتفاق الموجود بين الخطيب والجمهور، وهما وإن كانا يتفقان في أنّ كليهما اتّفاق مسبق، لكنّهما يختلفان في أنّ "المقصود سلفا" هو اتّفاق ذهنيّ، و"المعدّ سلفا" هو اتّفاق تقنيّ، والأوّل تأييد لمضامين الخطاب، والثاني في غالبه تأييد للخطيب.

فيكون التصفيق المقصود سلفا، بهذا التحديد، تصفيقا في مرتبة بين التصفيق التلقائيّ والتصفيق المعدّ سلفا، فهو يأخذ صورتها لكنّه يختلف عن حقيقتها. وكشف تلك الحقيقة يعتمد على أمرين: طبيعة العلاقة بين الخطيب والجمهور، وكذلك على نوعية الجمهور.

وهذا بالضبط ما نجده في حالة خطاب الرئيس عبد المجيد تبون، فما جاء في مضامين خطابه في عمومها نجده في خطابات سابقة لمسؤولي الدولة الحاضرين بين الجمهور، فعبد المجيد تبون في خطابه يبلغ شيئا مشتركا بينه وبين جمهوره الحاضر، والجمهور الحاضر يصفّق لشيء مشترك بينه وبين الخطيب. ولهذا نجد أنّ أغلب التصفيق في الخطاب كان للمضامين

وفي قطاع الثقافة، ستعمل الدولة على تطوير الصناعة السينمائية، فضلا عن منح امتيازات ضريبية لتطوير الإنتاج الثقافي والسينمائي والفكري، مع الاهتمام بالوضع الاجتماعي للفنان. وكذلك، الحال في التعليم العالي، الذي نراهن عليه ليلعب دورا رائدا في بناء الجمهورية الجديدة، فالمشكل في الجامعة ليس كما يطرح حاليا، نظام كلاسيكي أو نظام أ ل أم دي، بل لابد من تطوير البرامج للارتقاء بمستوى المتخرجين. ولابد من ربط الجامعة بعالم الشغل حتى تكون قاطرة في بناء اقتصادي قوي، سواء في ذلك الاقتصادي التقليدي أو اقتصاد المعرفة. كذلك ستعمل الدولة على مراجعة المنحة الجامعة، مع تامين المنحة بالنسبة للعلوم الدقيقة. كما يتعين علينا تامين مهنة الأستاذ والباحث ماديا واجتماعيا. وسيتم إشراك الجامعيين أنفسهم في عملية النهوض بالتعليم العالي من كل الجوانب، بما في ذلك مشكلة توحيد لغة التعليم من الابتدائي إلى الجامعة. وسوف تعطى الحرية الكاملة للأسرة الجامعية في استقلالية الجامعات وخلق أقطاب الامتياز، وتخفيف وطأة البيروقراطية التي تقتل الإبداع والابتكار.

ف نجد أن التصفيق يغيب تماما في هذين المقطعين، ونفسر هذا الغياب بأن هذه المضامين الثقافية والتعليمية ليست اهتماما مشتركا بين الخطيب وأغلب الجمهور الحاضر، أو أنها في أقل الأحوال ليست قصدا مشتركا لهما في هذا الخطاب.

زمن التصفيق ومواضعه وكثافته:

دام خطاب عبد المجيد تبون (40) دقيقة، تخلّله تصفيق في (42) مرّة، وكان مجموع زمن التصفيق كله 260 ثانية أي 4 دقائق ونصف، فعشر الخطاب كان تصفيقا، وكان متوسط الزمن بين التصفيق والتصفيق دقيقة واحدة، ولم يحدث انقطاع في التصفيق إلا ثلاث مرّات، مرّة لمدة 5 دقائق، ومرّة لمدة 4 دقائق، ومرّة لمدة دقيقتين ونصف.

وقد تراوح زمن التصفيق من ثانيتين إلى 28 ثانية، وكان ترتيب التصفيق من حيث زمنه كالآتي:

5 ثوان (18 مرّة)، 4 ثوان (9 مرّات)، 6 ثوان (5 مرّات)، 8 ثوان (5 مرّات)، 3 ثوان (مرّتان)، ثانيتان (مرّة واحدة)، 24 ثانية (مرّة واحدة)، 28 ثانية (مرّة واحدة).

فيكون معدّل التصفيق في الخطاب ما بين (4 إلى 6 ثوان)، وهذا زمن أغلب التصفيق في الخطاب، وتبقى البقية استثناءات، وقد حدثت في مواضع محدّدة.

فبالنسبة لتصفيق الثماني ثوان (8ثوان) حدث مرتين عند ذكر الجيش وقائد الجيش، ومرتين عند ذكر القضية الفلسطينية، ومرّة عند ذكر الدستور، فاعتبار مواضعه يكون قد حدث ثلاث مرّات.

أمّا تصفيق (24 ثانية) حدث مرّة واحدة عند تقرّيب الأنا.

وتصفيق (28 ثانية) حدث مرّة في نهاية الخطاب.

أمّا التصفيق لمدة (3 ثوان) و(ثانيتين) فكان كلّ تصفيقا فرديا.

وأما كثافة التصفيق فكانت في خمسة مواضع في الخطاب:

الأوّل: عند الحديث عن تعديل الدستور، وكان أكثر موضع حدث فيه التصفيق، حيث كان عدده 8 مرات، ومجموع زمنه 40 ثانية.

الثاني: عند الحديث عن الجيش وقائده، وكان عدده 5 مرات، ومجموع زمنه 32 ثانية.

والثالث: عند تقرّيب الذات، وكان عدده 3 مرّات، ومجموع زمنه 34 ثانية.

والرابع: عند الحديث عن القضية الفلسطينية، وكان عدده مرتين، ومجموع زمنه 16 ثانية.

والخامس: عند نهاية الخطاب، وكان عدده مرّة واحدة، ومجموع زمنه 28 ثانية.

لكنّ السؤال الذي يطرح هنا: ما دور الخطاب في إثارة هذا التصفيق واختلاف زمنه وموضعه وكثافته؟، وفي المقابل: ما أثر هذا التصفيق في الخطاب؟

مثيرات التصفيق: السلطة واللغة والأداء.

أشرنا سابقا إلى أنّ التصفيق المقصود سلفا يظهر للمتابع بمظهر التصفيق التلقائي لغياب أدلّة إعداده سلفا، لذلك يستعمل فيه الخطيب الفخاخ لاستدعائه، ويحتاج فيه الجمهور إلى مثيرات حتى يستجيب به، والفخاخ "هي مجموعة من التقنيات أو الحيل أو الأساليب اللغوية والبلاغية التي يتمّ تصميمها لاصطياد التصفيق من الجمهور، وتتكون من مزيج من الفخاخ البلاغية والفخاخ الصوتيّة، مثل: النبر والتنغيم، والفخاخ الأدائية، مثل: حركة الجسد واليدين"⁸.

وجدنا أنّ مثيرات التصفيق في خطاب عبد المجيد تبون في معظمها تدور على ثلاثة مثيرات هي:

المثير السلطوي، والمثير اللغوي، والمثير الأدائي.

1. المثير السلطوي: وبدأنا به لأنّه أكثر التقنيات التي استعملت لإثارة التصفيق في خطاب تبون، فعلاقة التصفيق بالسلطة هي أبرز علاقة حكمت تصفيق الجمهور في هذا الخطاب. والمقصود بذلك أنّ الجمهور كان يصفق لما يمثّل سلطة عنده.

والسلطة بمعناها العام هي "إمكانية فرض انصياع مجموعة محدّدة من الأشخاص لأمر له محتوى معيّن"⁹، لكنّ فرض الانصياع في السلطة لا يكون بالإجبار أو الإكراه، بل قد يكون بالسلطان على النفوس، وهو "القدرة الفعلية على التأثير في النفوس، من دون التزام معيّن، بحيث تصبح مطيعة ومنقادة لما يأتيها في العقل أو في الوجدان أو في العاطفة والميل"¹⁰، فالسلطة بهذا المفهوم هي سلطة تأثير لا سلطة أمر. والسلطة أيضا قد تكون شخصية وقد تكون لا شخصية، تكون شخصية حينما يُستند في الخطاب إلى أشخاص معيّنين بأسمائهم وهوياتهم، كالأنبياء والفلاسفة والشعراء أو ذات الخطيب، وتكون لا شخصية كالاستناد إلى الدين والفلسفة والإجماع والرأي العام والعصر الذهبي وغير ذلك¹¹.

وأنواع السلطة التي أثارَت التصفيق في هذا الخطاب تمثلت في: سلطة الشخص، وسلطة القضيّة، وسلطة الدّين.

1.1. سلطة الشخص: ونقسّمها هي بدورها كما وردت في هذا الخطاب إلى: سلطة الأنا، وسلطة نحن، وسلطة الآخر.

وهذا الذي وجدناه في هذا الخطاب هو بمثابة أمر مطّرد في الخطب السياسية، فقد توصّل "أتكينسون" في تحليله لخطب حزبية بريطانية أنّ ما يقرب من 95% من حالات التصفيق كانت بعد حالات ثلاث: عزو صفات حسنة إلى أشخاص بعينهم، عزو صفات حسنة إلى "نحن"، وعزو صفات غير حسنة إلى الآخرين¹². والحالتان الأولى والثانية هما اللتان نجدهما في هذا الخطاب، إلّا أنّ عزو الصفات الحسنة كان إلى أشخاص بعينهم يمثّلون سلطة معيّنّة، وسنجد أنّ هناك اطّرادا بين كثافة التصفيق وقوّة سلطة أولئك الأشخاص. كما أنّ عزو الصفات الحسنة إلى "نحن" يمثّل سلطة في ذاته، لأنّه إشادة بالمجموع الذي له سلطان على الأفراد.

كان استجابة لسلطة الأنا، وقد استعمل الخطيب هنا "سلطة أنا" مضاعفة، بالإضافة إلى السلطة السياسية القوية التي يتمتع بها، زاد على ذلك استدعاء تقريظ الذات واستراتيجية الإيتوس، لكنّ الإيتوس هنا لم يكن مباشرا، فقد عمل الخطيب على مدح ذاته بطريقة خفيّة، فقد أظهر نفسه مظهر الجامع بين التجديد والمحافظة، من خلال قوله: «من أجل أن نعمل معا على تحقيق حلم بناء الجمهورية الجديدة، في إطار بيان ثورة نوفمبر المجيدة الخالدة»، فهو يريد جزائر جديدة لكن دون الخروج عن إطار المبادئ التأسيسية للدولة الجزائرية. وأظهر نفسه مظهر المتعاون غير المتفرد، وذلك من خلال استعماله لضمير الجمع المتكلم ("نعمل معا"، "لكي نكون جميعا مفخرة لجزائرنا العزيزة الغالية")، أو تعبيره عن ذلك بقوله: «وإنني أدعوكم جميعا لكي تكونوا سندا لي، ساعدوني وشجعوني إذا أصبت، وقوموني وصوبوني إذا جانب الصواب، كونوا الجدار المنيع الذي يقويني ويحميني»، ويفهم من هذا الكلام أيضا إظهار الخطيب لنفسه بمظهر المتقبل للنصح والنقد. كما أظهر نفسه بمظهر المتواضع الزاهد في مغريات السلطة من خلال رفضه استعمال لقب الفخامة في مخاطبة رئيس الجمهورية، حيث قال: «وقبل أن أنبي هذه الكلمة أرجو منكم ومن كل من هو تحت سلطتكم أن يسحب من هذه اللحظة لقب الفخامة، ليوصف رئيس الجمهورية بالسيد فقط»، وقد استدعى هذا المظهر وقوف الجمهور وتصفيقا طويلا دام لمدة 24 ثانية. ولعل السبب في القوّة التأثيرية لصفتي التواضع والزهد على الجمهور ترجع إلى تأكيد مفهوم القطيعة مع الحكم السابق وإبراز فكرة الجزائر الجديدة التي تعد جوهر خطاب تبون كلّه، إذ إنّ أهم ما ميّز الحكم السابق استعلاءه على الشعب وتشبثه بالسلطة، وكان لقب "فخامة الرئيس" عنوانا على هاتين الصفتين، فإسقاط هذا اللقب هو إسقاط لهما.

سلطة النحن: والمقصود بها تفعيل الخطيب للشخصية الجمعية، وذلك باستثارة الأهواء المشتركة بينه وبين الجمهور، فالعواطف الجماعية لها سلطة قويّة في إخضاع الجماهير واستدعاء استجاباتهم. وهو ما يعرف أيضا بالباتوس، وذلك من خلال "استثمار الخطيب معرفته بأحوال السامع النفسية؛ حيث يعتمد على إثارة انفعالاته وأهوائه لوضعه في الحالة النفسية المناسبة لتمرير دعواه وحمله على إنجاز فعل ما"¹⁷. ومن تلك الأفعال التصفيق.

وقد جاء التصفيق في هذا الخطاب استجابة لهذا النوع من السلطة في عدّة مواضع منه، وهي:

تبون: حيث ستعمل الدولة على القضاء النهائي على أزمة السكن، ولن أرضى لأي جزائري أن يعيش في كوخ أو بيت قصديري، صيانة لكرامته وكرامة أبنائه.

الجمهور: &&&&

تبون: وستعمل الدولة بكل قوة على رفع القدرة الشرائية لجميع المواطنين خاصة الطبقة الوسطى والهشة مع إلغاء الضريبة على أصحاب الدخل الضعيف.

الجمهور: ++&&&&

تبون: ولا بد لي أيضا، أن أجدد التزامي مرة أخرى، بالعمل الجاد على حل جميع النزاعات العالقة، أتمنى أن يكون ذلك في ظرف وجيز جدا، لمختلف فئات المجتمع، مثل المعطوبين والمشطوبين والذين أعيد تجنيدهم ومتقاعدي الجيش، وشبكات الإدماج والمتعاقدين وذوي الاحتياجات الخاصة وغيرهم، لا بد أن يشعر الجزائري بجزائريته وكرامته.

الجمهور: &&&&&&

تبون: وستنشئ الدولة هيئات قانونية على مستوى السفارات والقنصليات للدفاع الفوري عن كل جزائري يهان في الخارج.

الجمهور: &&&&&&

يشارك التصفيق في هذه المواضع الأربعة أنه كان بعد إثارة الخطيب لمشاعر الجمهور وعواطفه، فالخطيب في الموضوع الأول عمل على إثارة عاطفتين تثيران الجمهور وتشعرانه باللذة والنشوة وهما عاطفة الكرامة وعاطفة الرحمة، ولذلك كانت تصفيقه لهما قويا تركز مرتين بمجموع 10 ثوانٍ. وفي الموضوع الثاني كان التصفيق أيضا بعد إثارة الخطيب لعاطفتين أيضا هما الوطنية والكرامة، وهما عاطفتان متلازمتان، إذ لا يمكن للإنسان أن يشعر بالوطنية إلا إذا شعر بالكرامة، ولا يمكن له أن يشعر بالكرامة دون وطن يأوي إليه ويلوذ به. وفي الموضوع الثالث كان التصفيق بعد إثارة الخطيب لعدة عواطف أيضا هي الوطنية والحماية والكرامة.

وتشارك هذه العواطف التي أثارها الخطيب في أنها عواطف جماعية مشتركة، بل إنها أساس البناء الاجتماعي، ولذلك شكّلت سلطة قوية على الجمهور استدعت منه استجابة فورية تمثّلت في التصفيق.

الجمهور: +&&&&

تبون: والشكر موصول بلا مواربة، لأسلاك الأمن جميعا، من شرطة ودرك وطني، لكونها العين الساهرة على أمن الأمة واستقرارها.

الجمهور: +&&&&

تبون: كما أغتنم هذه الفرصة لأجزل الشكر للسيد عبد القادر بن صالح على تفانيه بإخلاص منذ أن أبي إلا أن يتحمل بشرف كبير مسؤولية رئاسة الدولة بثقلها في هذا الطرف الدقيق من تاريخ أمتنا، ولا يفوتني أن أنوه من هذا المقام بخسارتي الشخصية لما أظهره من حكمة ورصانة في إدارة شؤون البلاد في وقت سادته ظروف حساسة للغاية، وبفضل خبرته الثرية والمشهودة التي كانت مفتاح النجاح في تكريس مقومات العمل المنسجم وتعزيز التنسيق بين رئاسة الجمهورية والقيادة العليا للجيش الوطني الشعبي، مما شكل جسرا آمنا للعبور ببلادنا إلى الغد الأفضل المنشود.

يلاحظ في هذه المواضع عدّة أمور:

1. أنّ التصفيق فيها كان بعد ذكر شخصية معيّنة أو مجموعة من الأشخاص.
2. أنّ الشخصيات المذكورة كلّها أصحاب سلطة معيّنة، لكنّ سلطتهم متفاوتة، فبعضهم أعلى سلطة من بعض.
3. أنّ التصفيق في تلك المواضع تفاوت بحسب تفاوت سلطة الشخصية؛ فكلّما زادت سلطة الشخصية زادت قوّة التصفيق.
4. كان التصفيق أكثر قوّة بعد ذكر قائد أركان الجيش أحمد قايد صالح، فقد تكرر التصفيق له ثلاث مرّات، وكان الجمهور يقطع كلام الخطيب ويصفق لمجرّد ذكر اسم قائد الأركان، والأمر نفسه عندما يذكر الجيش، ويرجع سبب هذا التصفيق إلى أمرين: الأوّل: السلطة القوية التي تتمتع بها مؤسسة الجيش في النظام السياسي الجزائري، بل إنّها تكاد تكون الحاكم الفعلي في الجزائر. الثاني: أنّ أحمد قايد صالح كان يمثّل في تلك الفترة سلطة قويّة، حيث كان المسيرّ الفعلي لمرحلة ما قبل الانتخابات، كما كان يمتلك شعبية كبيرة، فكانت قوة التصفيق متناسبة مع قوة السلطة للشخصيّة.

وقد رأينا سابقا أنّ هذا الموضوع هو ثاني أكثر المواضيع كثافة في التصفيق، وقد احتوى على ذكر الجيش وقائد الجيش والأسلاك الأمنية المختلفة، وهذه كلّها تمثّل في العقل الجمعيّ الجزائريّ سلطة قويّة، نظرا لما تمتع به من نفوذ سياسي في الواقع الفعلي، ونظرا إلى أنّ الذهنيّة الجزائرية والعربية أيضا مسكونة بمبدأ القوة أكثر من قوة المبدأ، فتجدها تنقاد وجدانيا لصاحب القوة الحسيّة أكثر من انقيادها لصاحب القوة المعنوية.

ونجد في المقابل أنّ التصفيق كان أضعف من ذلك عند ذكر رئيس السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات، وعند ذكر المترشحين في الانتخابات، ويرجع ذلك إلى ضعف السلطة التي يمثلونها.

لكنّ التساؤل الذي يطرح هنا: لماذا لم يصفّق الجمهور عند ذكر اسم الرئيس المؤقت للبلاد عبد القادر بن صالح، وذلك على الرغم من السلطة التي يتمتّع بها من جهة، وعلى الرغم من المديح الطويل جدّا الذي حقّه به الخطيب من جهة أخرى؟

قد نجيب عن ذلك بشكل مباشر بأنّ الرئيس المؤقت لم يكن يتمتع بسلطة فعلية، بل كان منصبه شكليّا، حيث كان الحاكم الفعليّ في تلك الفترة قائد الأركان والجيش الوطني. لكنّ السبب الحقيقي في رأينا ليس هو هذا، بل يرجع ذلك إلى سببين: سبب لغويّ، وسبب أدائيّ. يرجع السبب اللغويّ إلى إطناب الخطيب في مدح الرئيس المؤقت، فهذا الإطناب أدّى إلى غمر الممدوح ونسيانه في سياق الكلام، خاصة وأنّ اسمه ورد في أول المدح وتلاه بعد ذلك كلام كثير، ومن المعلوم أنّ طول الكلام ينسي أوله آخره. ويرجع السبب الأدائيّ إلى أنّ الخطيب كان في أدائه لهذا الكلام مسترسلا غير متوقف، ممّا لم يعط الفرصة للجمهور في أداء استجابته بالتصفيق.

2.1. سلطة القضية: ونقصد بها تلك القضايا التي تمثّل لدى الجمهور سلطة معنوية، ومثّلت هذه السلطة مثيرا لجزء مهمّ من التصفيق الذي ورد في خطاب عبد المجيد تبون، والقضايا التي وردت في ذلك ثلاث قضايا: قضية الدستور، والقضية الفلسطينية، والقضية الصحراوية.

قضية الدستور: جاء فيها مايلي:

تبون: ويتعين علي اليوم بصفتي رئيسا للجمهورية أن أذكركم بأهم تلك الالتزامات، وعلى رأسها تعديل الدستور الذي هو حجر الأساس لبناء الجمهورية الجديدة. حيث أجدد الالتزام بذلك

3.1. سلطة الدين: وهي التي يستخدم فيها الخطيب نصوصا دينية لها سلطة على الجمهور.

لم يستخدم عبد المجيد تبون إحالات دينية في خطابه إلا في ثلاثة مواضع هي:

تبون: يتعين علينا اليوم جميعا، أن نطوي صفحة الخلافات، والتشتت والفرقة، فهي والله من عوامل الهدم والتدمير، وقد أمرنا الله عز وجل بنبذ الخلافات والتنازع حتى لا نفشل وتذهب ريحنا.

تبون: وسوف تجد وسائل الإعلام من الدولة كل الدعم والتحفيز، من أجل ممارسة إعلامية في ظل حرية، لا حدود لها، سوى القانون والأخلاق والآداب العامة والتأكد من مصادر المعلومات مصداقا لقوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ".

الجمهور: &&&

تبون: لا ينبغي لنا ونحن نقف بشموخ على طريق تأسيس الجمهورية الجديدة، أن ننسى إخواننا في دول الساحل الإفريقي، فهم إخوة لنا في الدين، وإنما المؤمنون أخوة، وهم لنا جيران، والإسلام يوصي بحسن الجوار. (توقف لثانية)

الجمهور: &&+

ما يلاحظ في هذه المواضع:

1. أن التصفيق كان في الموضعين الثاني والثالث وغاب في الموضع الأول.
2. أن التصفيق كان متفاوتا بين الموضعين الثاني والثالث، فالتصفيق في الموضع الثاني كان أقوى من التصفيق في الموضع الثالث الذي كان متقطعا.
3. سبب حضور التصفيق وغيباه في نظرنا يرجع إلى حضور النص الديني بشكل مباشر أو غير مباشر، فالموضع الذي ذكر فيه الخطيب الآية القرآنية بشكل مباشر حاز تصفيقا قويا، لكن التصفيق غاب حينما كان حضور النص الديني بشكل غير مباشر، وفي الموضع الثالث نجد أن الخطيب استدعى التصفيق أدايئا من خلال توقفه لمدة ثانية، وتوقفه ذلك حصل استجابة تصفيقية متقطعة.

2.المثير اللغوي: ما يلاحظ في خطاب تبون هو نقص المثيرات اللغوية التي استدعت التصفيق، بل إنّ ما ورد من المثيرات اللغوية القليلة جدًا كان دورها مساعدا لمثير آخر في استدعاء التصفيق، ولم تكن مثيرا مباشرا.

وهناك حالتان وحيدتان يظهر أنهما كانتا مثيرا لغويا مباشرا للتصفيق وهما:

تبون: فالجزائر أولى وأكبر المعنيين باستقرار ليبيا أحب من أحب وكره من كره.
الجمهور: &&&&&

ويتمثل المثير اللغويّ هنا في تعبير "أحبّ من أحبّ وكره من كره"، وهو يعدّ من المسكوكات اللغوية التي تستدعي استجابة عند استعمالها، فهي تستعمل غالبا في سياق الإصرار والتحدّي والمواجهة، ومثل هذه السياقات تستدعي تفاعلا من الجمهور. كما أنّ هذه العبارة تدخل ضمن ما يعرف بـ"الثنائيات المتقابلة"، أو "المقابلة" بالتعبير البلاغي العربي، ويرى بعض الباحثين "أنّ ثلث التصفيق الذي يقوم به الجمهور سببه استخدام المتكلم للثنائيات المتقابلة"¹⁹.

تبون: وفي هذا الإطار، فإنني أوجه دعوة خالصة صادقة، وقفة مطمئنة، وقفة نابغة من صميم القلب، وقفة إلى جميع رجال المال والأعمال الوطنيين الشرفاء،
الجمهور: &&&+++

ويتمثل المثير اللغوي في هذا الموضوع في أمرين: الأول هو استخدام "التمهيد اللغوي"، ونقصد به أن يسبق التصفيق تعبير من جمل قصيرة متتالية تمهد لذكر شخص أو قضية. وهي تشبه الملاحقة التي يقوم بها الخطيب استدعاءً للتصفيق. والثاني: هو "التكرار"، إذ إن تكرار الخطيب لشيء يؤكّد أهميته عنده وإعطاءه قيمة في خطابه، وهو ما من شأنه أن يستدعي التصفيق ويثيره.

أمّا بقية المواضيع الأخرى فاستعمل فيها المثير اللغوية مساعدا لمثيرات أخرى، والمثيرات اللغوية التي استعملت في ذلك هي: التمهيد اللغوي، والثنائيات المتقابلة.
التمهيد اللغويّ: ونجد هذا في بعض المواضيع من الخطاب، من ذلك:

تبون: الجيش الوطني الشعبي الباسل المغوار سليل جيش التحرير الوطني، وعلى رأسه نائب وزير الدفاع الوطني، قائد الأركان، المجاهد الكبير، والوطني الصادق،
الجمهور: &&&&&&&&

تبون: الفريق أحمد قايد صالح، على الدور الكبير

الجمهور: +&&&&

فالخطيب هنا استعمل تمهيدا لغويا من جمل وصفية قصيرة قبل أن يذكر اسم الشخص، وكان هذا مثيرا مساعدا لمثير السلطة استدعى تصفيقا قويا قبل أن يصل الخطيب إلى اسم الشخص، ففوة التصفيق كان من سببها تعدد المثيرات.

الثنائيات المتقابلة: من ذلك:

تبون: ساعدوني وشجعوني إذا أصبت، وقوموني وصوبوني إذا جانبت الصواب.

الجمهور: &&&&

فالخطيب هنا استعمل أسلوب الثنائيات المتقابلة. فبين الجملتين تضاد وتعارض جمع بينهما في سياق واحد، وهو ما شكّل مثيرا للتصفيق، لكنّه ليس مثيرا مباشرا بل مثير مساعدا لمثير آخر، وهو كما رأينا سابقا مثير "سلطة الأنا" أو تقريظ الذات أو الإيتوس.

3.المثير الأدائي: هذا المثير أيضا هو من المثيرات القليلة في خطاب عبد المجيد تبون، ونقصد بالمثير الأدائي هو طريقة إلقاء الخطاب وما يتّصل به.

والمثير الأدائي كان في أغلبه أيضا مثيرا مساعدا لمثيرات مباشرة، بل إنّ أغلب مثيرات التصفيق ارتبطت بمثيرات أدائية معينة، وأهم تلك المثيرات: الوقف، ورفع الصوت، والنبر، والتوجّه بالنظر إلى الشخص المذكور. ورأينا سابقا أنّ بعض المواضيع استدعت تصفيقا لتوقّر المثيرات القويّة له، لكنّ غياب المثير الأدائيّ المساعد حال دون ذلك، كما في غياب التصفيق بعد ذكر اسم الرئيس الجزائري المؤقت عبد القادر بن صالح، وهذا يدلّ على أهميّة المثير الأدائيّ.

لكنّ بعض المواضيع في الخطاب كان المثير الأدائيّ فيها مثيرا مباشرا للتصفيق ومستدعيا له، من ذلك مايلي:

تبون: وسوف يحظى المنتسبون لقطاع الصحة، بالعناية اللازمة من طرف الدولة، ماديا ومعنويا، بمراجعة نظام الخدمة المدنية، ومنح امتيازات هامة للأطباء في الهضاب والجنوب (توقف لمدة ثانيتين).

الجمهور: &&&+

في هذا الموضوع نجد أن المثير المباشر للتصفيق هو توقف الخطيب لمدة ثانيتين، ومما يدل على ذلك أنّ التصفيق كان بعد هذا الوقف، وتوقف الخطيب لثانيتين كان بمثابة استدعاء للتصفيق وطلب غير مباشر من الجمهور أن يصقّقوا.

تبون: مع مراجعة البرنامج الدراسي وتخفيفه، خاصة في الابتدائي، حتى يسمح للطفل كي يعيش طفولته (توقف لثانية مع التوجّه بالنظر إلى الجمهور)

الجمهور: &&++

في هذا الموضوع كان هناك مثيران أدائيّان للتصفيق هما الوقف والتوجّه بالنظر إلى الجمهور، ومن يشاهد أداء الرئيس تبون في هذا الموضوع يفهم منه أنّه كان يريد من الجمهور أن يصقّقوا، فاستعمل هذين الأداءين لأجل ذلك.

الخلاصة التي نخلص إليها في هذا العنصر أنّ أهمّ مثير أدى إلى تصفيق الجمهور في خطاب عبد المجيد تبون هو المثير السلطوي، وأما المثيران اللغويّ والأدائيّ فكانا مثيرين مساعدين أكثر من كونهما مثيرين مباشرين.

والتساؤل الذي يبقى مطروحا هنا: ما أثر التصفيق في الخطاب؟، وبتعبير آخر، "ما مدى تأثير تصفيق الجمهور المشارك نحو الخطبة على توجهات الجمهور غير المشارك نحوها؟"²⁰.

في خدمة التصفيق للخطاب: إبراز الجزائر الجديدة وتوجيه الجمهور الواسع.

من المعلوم أنّ الخطيب في الخطب السياسية المعاصرة يتوجّه بخطابه إلى جمهورين، جمهور مشارك يتلقى الخطاب بشكل مباشر دون وسيط، وجمهور غير مشارك يتلقى الخطاب بشكل غير مباشر عبر وسيط معيّن²¹. هذه الحالة تجعل وظيفة الخطيب – كما ذكرنا سابقا - تبليغ مقاصده ومقاصد الجمهور الحاضر إلى الجمهور الأوسع، وتكون وظيفة الجمهور الحاضر إعانة الخطيب لتبليغ الخطاب إلى الجمهور الأوسع. فيتحوّل كلاهما إلى خطيب، خطيب متكلم، وخطيب مساعد.

ويكون التصفيق على هذا الأساس إحدى وسائل المساعدة التي يقوم بها الجمهور للخطيب في تبليغ خطابه، وليس مجرد استجابة آلية، بل هو يقوم بخدمة الخطاب بتصفيقه مثلما يقوم الخطيب بخدمته بأدائه.

وإذا كان الخطيب والجمهور يملكان قصدا مشتركا فإنّ هذه الخدمة تكون عملية قصدية، يدرك فيها الجمهور ما يفعله، فهو وإن كان يستجيب لمثيرات معينة، إلا أن استجاباته تقع كلّها داخل إطار القصد المشترك بينه وبين الخطيب.

وإذا كانت الوظيفة الأساسية للتصفيق في السياق السياسي هي إظهار الاستحسان، فإنّ القصد المشترك الذي نفترضه في خطاب عبد المجيد تبون بين الخطيب والجمهور يجعل من وظيفة التصفيق فيه ليست مجرد الاستحسان، بل تكون إبرازا لأشياء في الخطاب من أجل التأثير على الجمهور الواسع وتوجيهه نحو تلك الأشياء المبرزة

فالإبراز بهذا المفهوم عمليّة تحديد واختيار لمواضع في الخطاب، يقوم بها الجمهور المباشر عن طريق التصفيق، من أجل توجيه الجمهور الواسع إليها.

وتنبني وظيفة الإبراز - كما أشرنا سابقا - على مفهوم التعاون بين الخطيب والجمهور في إيصال قصدهما المشترك، فالخطيب يقوم بوظيفة التبليغ والجمهور يقوم بوظيفة الإبراز.

وإذا كان الإبراز عمليّة اختيار عن طريق التصفيق، فإنّها تكون إذا مرتبطة بمواضع التصفيق وكثافته، فالمواضع التي صقّ فيها الجمهور هي المواضع التي يريد إبرازها، والمواضع التي صقّ فيها بكثافة هي التي يريد لها إبرازا أكبر.

وعليه تكون المواضع الخمسة التي كانت كثافة التصفيق فيها عالية (الحديث عن الدستور، والحديث عن الجيش وقائده، والحديث عن تقريظ الذات، والحديث عن القضية الفلسطينية)، هي المواضع التي أراد الجمهور الحاضر إبرازها في الخطاب، وتوجيه نظر الجمهور الواسع إليها.

والسؤال الذي يطرح هنا: هل هناك علاقة بين هذه المواضع؟ أم أنّها مواضع لا يربط بينها رابط؟

الإجابة عن هذا السؤال تحتاج قبل ذلك أن نجيب عن سؤال آخر هو: ما الذي يربط بين أجزاء خطاب عبد المجيد تبون؟، أو بعبارة أخرى: ما البيئة الكلية التي يدور عليها هذا الخطاب؟

حينما ننظر في خطاب عبد المجيد تبون نجد أنّ هناك جملة تكررّت ستّ مرّات في الخطاب، وردت في أوّلّه ووسطه وآخره، وهي عبارة "بناء الجزائر الجديدة"، أو "بناء الجمهورية الجديدة"،

وهي الجملة الوحيدة التي تكررّت بهذا الشكل داخل الخطاب، ويفهم من هذا التكرار تأكيد الخطيب على هذه الفكرة وترسيخها في أذهان المتلقين، ويفهم من ورودها في مواضع متعدّدة من الخطاب في أوله ووسطه وآخره، على الرغم من اختلاف الموضوعات المتناولة في تلك المواضع، أنّها فكرة تتناسب مع تلك الموضوعات كلّها، فكلّ الموضوعات تلتقي مع هذه الفكرة في جانب منها، وعليه ستشكّل هذه الفكرة البنية الكليّة لخطاب عبد المجيد تبون، فكلّ خطابه يدور على فكرة "بناء الجزائر الجديدة".

وسنّفهم بعد ذلك العلاقة بين المواضيع التي صقّق فيها الجمهور، فهي مواضع تربط بينها علاقة إبراز فكرة "بناء الجزائر الجديدة"، فالجمهور الحاضر كان مدركا لهذه الفكرة وعمل على إبراز تفاصيلها وبناء سرديتها من خلال خطاب عبد المجيد تبون، فأكثر موضع صقق فيه الجمهور كان موضع "تعديل الدستور"، والدستور، كما عبّر عبد المجيد تبون، "حجر الأساس لبناء الجمهورية الجديدة"، ولمّا كان كذلك وجدنا أنّ الجمهور كان يصقّق لكل نقطة فيه، ليمرّز للجمهور الواسع تفاصيل ذلك التعديل، تعديل الدستور وتعديل الجمهورية. وثاني أكثر موضع صقّق فيه الجمهور كان موضع "الجيش وقائده"، وعلاقة ذلك بفكرة الجزائر الجديدة أنّ الجيش وقائده، كما عبّر عبد المجيد تبون، عملا على "مرافقة الحراك الشعبي في سبيل تحقيق مطالبه المشروعة"، ومطلب الحراك يتلخص في بناء جزائر جديدة غير تلك التي ثار عليها. وثالث أكثر موضع صقّق فيه الجمهور كان موضع "تقريظ الذات"، وعلاقة ذلك بفكرة الجزائر الجديدة، إظهار قائد هذه الجزائر الجديدة بمظهر المتواضع الزاهد في السلطة خلافا لقائد الجزائر القديمة الذي كان مستعليا على الشعب متشبثا بالسلطة. ورابع أكثر موضع صقّق فيها الجمهور كان موضع "القضيّة الفلسطينية"، وعلاقة ذلك بفكرة الجزائر الجديدة، هي أنّ القضية الفلسطينية تشرح بوصلة السياسة الخارجية للجزائر الجديدة التي تقوم على المبادئ لا على المصالح فقط.

ف نجد أنّ تصفيق الجمهور بإبرازه لمواضع محدّدة داخل الخطاب قد بنى سردية الجزائر الجديدة وملاحمها الكبرى، فهي جمهورية تقوم على دستور جديد، يرافق فيها الجيش الشعب ويحميه، ويقودها رئيس متواضع زاهد في السلطة، وتتسم بسياسة خارجية تقوم على المبادئ.

والسؤال الذي يطرح بعد ذلك هو: ما مدى نجاح تصفيق الجمهور الحاضر في توجيه الجمهور الواسع إلى المواضيع المصقّق فيها؟

من الصعب الإجابة عن هذا السؤال، ذلك أن قياس تأثر الجمهور الواسع يحتاج إلى دراسة ميدانية، وهو أمر متعذر الآن للزمن الطويل (عام ونصف) الذي مرّ على الخطاب، لكننا يمكن أن نذلل شيئاً من تلك الصعوبة بالرجوع إلى عيّنة من ذلك الجمهور الواسع التي خلفت موقفاً مسجلاً من الخطاب، والعيّنة المقصودة هي الصحافة. فالصحافة، في نظرنا، خير ممثل للجمهور الواسع، فهي المجموعة الأبرز من الجمهور الواسع التي يسعى الخطيب وجمهوره الحاضر إلى توجيه نظرها، وهي أيضاً متلقّ نموذجيّ يسعى إلى إبراز أهم الأفكار في الخطاب. وإذا كان الأمر كذلك، فما مدى توافق إبراز الصحافة مع إبراز تصفيق الجمهور الحاضر؟.

تناولت كثير من الصحف والمواقع الإخبارية الجزائرية والعربية والعالمية خطاب الرئيس تبون بالنقل والتحليل، بل إنّ الصحف الجزائرية جعلت الحديث عنه في الصفحة الأولى لها، وسنأتي بالعناوين التي وضعتها تلك الصحف والمواقع لننظر في المواضيع التي توجّهت إلى إبرازها.

1. جريدة الشروق الجزائرية: جاء في صفحتها الأولى بتاريخ 2019/12/21 ما يلي:

أسقط وصف "الفخامة" والتزم بالحوار وبناء الجزائر الجديدة، هذه خارطة طريق تبون، تعديل الدستور خلال أشهر أو أسابيع.

2. جريدة النهار الجزائرية: جاء في صفحتها الأولى بتاريخ 2019/12/21 ما يلي:

أدى اليمين الدستورية ليكون ثامن رئيس للجمهورية، وتعهّد بالإفراج عن الدستور الجديد خلال أسابيع، تبون يتخلى عن الفخامة .. وهذه أولوياته!

3. جريدة البلاد الجزائرية: جاء في صفحتها الأولى بتاريخ 2019/12/21 ما يلي:

تبون يجدّد التزاماته للشعب في أول خطاب له، خارطة طريق الرئيس، لا فخامة بعد اليوم .. والجيش أنقذ الدولة من الانهيار.

4. موقع الجزيرة الإخباري: جاء فيه بتاريخ 2019/12/19 ما يلي:

في خطاب التنصيب.. رئيس الجزائر الجديد يعد بتعديل الدستور ومكافحة الفساد وإصلاح الاقتصاد.

5. موقع العربية الإخباري: جاء فيه بتاريخ 2019/12/19 ما يلي:

في أول خطاب بعد تنصيبه.. تبون يتعهد بتعديل الدستور.

6. موقع أوروبوز الإخباري euronews: جاء فيه بتاريخ 19/12/2019 ما يلي:

عبد المجيد تبون يؤدي اليمين رئيساً للجزائر ويعد بإصلاحات دستورية.

7. موقع وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية: جاء فيه بتاريخ 19/12/2019 ما يلي:

الرئيس تبون: القضية الفلسطينية من ثوابت السياسة الخارجية للدولة الجزائرية.

ما يلاحظ في عناوين هذه الصحف والمواقع الإخبارية أنّ هناك تناسبا واضحا لمضمونها مع المواضيع التي قام الجمهور الحاضر بالتصفيق لها بكثافة عالية، فالشيء المشترك بين كلّ تلك العناوين هو إبرازها لمسألة تعديل الدستور، وكما رأينا سابقا أنّ موضع الحديث عن تعديل الدستور هو أكثر موضع نال تصفيق الجمهور، فالجمهور عمل على تركيز خطاب تبون في هذه النقطة بالذات بتكرار تصفيقه لها ثماني مرّات، حيث كان يصفق فيها بعد كلّ جملة، فجعلها أبرز وأوضح فقرة في الخطاب كلّّه، وقد نجح في توجيه الصحفيين إليها وجعلها بؤرة اهتمامهم، فأغلب عناوين الصحف والمواقع التي رأيناها - وما ذكرناه جزء منها- كانت نقطة تعديل الدستور أهمّ مضامينها.

ونجد أنّ هذه الصحف أيضا تحدّث في عناوينها عن تخلي تبون على لفظ "الفخامة" وأبرزته، وقد أبرزه الجمهور قبل ذلك، حيث كان التصفيق بعد هذه الجملة أكثر تصفيق حماسي في الخطاب كلّّه، دام 24 ثانية، ووقف فيه الجمهور، فإبراز الصحافة له في صفحاتها الأولى وعناوينها الرئيسية يدلّ على نجاح الجمهور الحاضر في توجيه نظر الصحفيين إليه.

والأمر نفسه نجده بالنسبة للحديث عن الجيش، فقد أبرزته جريدة البلاد في صفحتها الأولى، وهذا أيضا يدلّ على نجاح تصفيق الجمهور في توجيه نظر بعض الصحفيين إليه.

وبالنسبة للقضية الفلسطينية التي نالت تصفيقا قويّا داخل الخطاب، نجد أنّ ذلك التصفيق نجح في توجيه الفلسطينيين إليها، كما جاء في موقع وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية.

ومنّه نستنتج أنّ تصفيق الجمهور كان ناجعا وناجحا، استطاع أن يؤثّر على توجّهات الجمهور الواسع ممثّلا في الصحفيين والإعلاميين.

خاتمة:

انبنى التصفيق في خطاب عبد المجيد تبون على علاقة التوافق التي ربطت الخطيب والجمهور، وقد نشأ عن هذه العلاقة نوع خاص من التصفيق، أسميناه "التصفيق المقصود سلفاً"، وهو الذي يكون باعثه القصد المشترك بين المتكلم والمخاطبين، يأخذ هذا التصفيق مظهر "التصفيق التلقائي" لكنّه يختلف عنه في كونه مبنياً على قصد سابق. ويختلف عن "التصفيق المعد سلفاً" في كون الاتفاق فيه اتفاقاً ذهنياً لا تقنياً، وفي كونه تأييداً لمضامين الخطاب وليس تأييداً للخطيب.

وعلى أساس هذا النوع من التصفيق نشأت حالة تعاون بين الخطيب والجمهور. ووظيفة الخطيب فيها تبليغ مقاصده ومقاصد الجمهور الحاضر إلى الجمهور الأوسع، ووظيفة الجمهور الحاضر إعانة الخطيب لتبليغ قصدهما المشترك إلى الجمهور الأوسع.

ومن مظاهر التعاون بينهما أنّ تصفيق الجمهور كان استجابة لمثيرات يقوم بها الخطيب بواسطة الخطاب، وتتلخص في ثلاثة مثيرات هي: السلطة، واللغة، والأداء. ومن مظاهره أيضاً أنّ تصفيق الجمهور يخدم الخطاب بإبرازه لمواضع فيه، والإبراز عمليّة تحديد واختيار لمواضع في الخطاب، يقوم بها الجمهور المباشر عن طريق التصفيق، من أجل توجيه الجمهور الواسع إليها.

مصادر البحث ومراجعته:

المصادر:

1. خطاب تنصيب عبد المجيد تبون يوم 19/12/2019.
2. دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية لسنة 2020.

المراجع:

1. حاتم عبيد: في تحليل الخطاب، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2013
2. صلاح حاوي وعبد الوهاب صديقي: بلاغة الجمهور.. مفاهيم وتطبيقات، دار شهريار، ط1، العراق، 2017

3. عماد عبد اللطيف: لماذا يصفق المصريون؟، دار العين للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2009
4. ماكس فيبير: مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، تر: صلاح هلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 2011
5. محمد خطابي ولحسن بوتكلاي: قراءات في الخطاب السياسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، ط1، المغرب 2016، ص 26.
6. محمد مشبال: في بلاغة الحجاج، نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، دار كنوز المعرفة، ط1، عمان، 2017
7. ناصيف نصار: منطق السلطة -مدخل إلى فلسفة الأمر-، أمواج للنشر والتوزيع، ط2، بيروت، 2001

الهوامش والإحالات

- ¹ عماد عبد اللطيف: ماذا تقدّم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟، ضمن، صلاح حاوي وعبد الوهاب صديقي: بلاغة الجمهور.. مفاهيم وتطبيقات، دار شهريار، ط1، العراق، 2017، ص 26.
- ² محمد خطابي ولحسن بوتكلاي: قراءات في الخطاب السياسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، ط1، المغرب 2016، ص 26.
- ³ عماد عبد اللطيف: لماذا يصفق المصريون؟، دار العين للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2009، ص 192.
- ⁴ ينظر، دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية لسنة 2020: المواد: 84، 91، 92، 180.
- ⁵ عماد عبد اللطيف: لماذا يصفق المصريون؟، ص 30.
- ⁶ المرجع نفسه: ص 226.
- ⁷ نستعمل الرمز "&" للدلالة على التصفيق المتواصل المرتفع. ونستعمل الرمز "+" للدلالة على التصفيق المنخفض أو المتقطع. والواحدة منهما ترمز لزمين "ثانية".
- ⁸ عماد عبد اللطيف: لماذا يصفق المصريون؟، ص 135.
- ⁹ ماكس فيبير: مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، تر: صلاح هلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 2011، ص 92.
- ¹⁰ ناصيف نصار: منطق السلطة -مدخل إلى فلسفة الأمر-، أمواج للنشر والتوزيع، ط2، بيروت، 2001، ص 08.
- ¹¹ ينظر، محمد مشبال: في بلاغة الحجاج، نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، دار كنوز المعرفة، ط1، عمان، 2017، ص 135.
- ¹² ينظر، عماد عبد اللطيف: لماذا يصفق المصريون؟، ص 118، 119.

¹³ المرجع نفسه: ص 191.

¹⁴ عماد عبد اللطيف: لماذا يصفق المصريون؟، ص 122.

¹⁵ ينظر، محمد مشبال: في بلاغة الحجاج، ص 75.

¹⁶ ينظر، حاتم عبيد: في تحليل الخطاب، دارورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2013، ص 118.

¹⁷ محمد مشبال: في بلاغة الحجاج، ص 76.

¹⁸ عماد عبد اللطيف: لماذا يصفق المصريون؟، ص 139.

¹⁹ عماد عبد اللطيف: لماذا يصفق المصريون؟، ص 175.

²⁰ عماد عبد اللطيف: لماذا يصفق المصريون؟، ص 227.

²¹ المرجع نفسه: ص 227